قيمة الشهادة في شعر محمد حسين آل ياسين
(قصيدة الحسين الخالد انموذجاً)، دراسة بلاغية

أ.م. د. أبو الفضل علي رضائي
a.rezaei353@gmail.com
أ.م. د. طاهرة حيدري
t_heyderi@sbu.ac.ir
م. م. عباس عدنان عباس المرزوك
abbasali77678@gmail.com
وزارة التربية ـ المديرية العامة لتربية بغداد
جامعة الشهيد بهشتي ـ كلية التربية للعلوم الانسانية ـ قسم اللغة العربية وآدابها

الملخص:-

يهدف هذا البحث إلى دراسة قيمة الشهادة في شعر محمد حسين آل ياسين، من خلال تحليل بلاغي لقصيدته "الحسين الخالد". ويُعنى البحث بكشف الأبعاد الجمالية والبلاغية التي وظفها الشاعر في التعبير عن مفهوم الشهادة الحسينية، وكيف تجلّت هذه القيمة بوصفها محورًا دلاليًا وفكريًا في النص. وقد اتّبع الباحث المنهج البلاغي، متناولًا أبرز الظواهر الأسلوبية، كالتصوير، والاستعارة، والمجاز، والتكرار، إلى جانب دراسة البنية الإيقاعية للنص، وما تحمله من دلالات شعورية مرتبطة بالشهادة والخلود. وتوصل البحث إلى أن الشاعر استطاع توظيف الأدوات البلاغية ببراعة لتكثيف المعنى، وإبراز فاعلية الشهادة في الوجدان الجمعي، لتتحول القصيدة إلى خطاب مقاومة يحمل أبعادًا رمزية وتاريخية. ويُعد هذا النموذج الشعري مثالًا على تفاعل الشعر مع القيم العقائدية والإنسانية، ولا سيما في سياق الشعر الحسيني المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الشهادة، محمد حسين آل ياسين، الحسين الخالد، الشعر الحسيني، الدراسة البلاغية.

The value of martyrdom in the poetry of Muhammad Hussein Al Yassin (the poem "The Immortal Hussein" as a model), a rhetorical study

Asst. Prof. Dr. Abo ALfadol Ali Ridaee
Asst. Prof. Dr. a. tahereh heydari
Asst. Lect. Abbas Adnan Abbas ALmarzoog
Ministry of Education, General Directorate of Education, Bagdad

Abstract:-

This research aims to examine the value of martyrdom in the poetry of Muhammad Hussein Al Yassin, through a rhetorical analysis of his poem "The Immortal Hussein." The research explores the aesthetic and rhetorical dimensions employed by the poet in expressing the concept of Husseini martyrdom, and how this value is manifested as a semantic and intellectual axis in the text. The researcher adopted a rhetorical approach, addressing the most prominent stylistic phenomena, such as imagery, metaphor, allegory, and repetition, in addition to studying the rhythmic structure of the text and the emotional connotations it carries related to martyrdom and immortality. The research concludes that the poet was able to skillfully employ rhetorical devices to intensify meaning and highlight the effectiveness of martyrdom in the collective consciousness, transforming the poem into a discourse of resistance bearing symbolic and historical dimensions. This poetic model is an example of the interaction of poetry with ideological and human values, particularly in the context of contemporary Husseini poetry.

Keywords: *Martyrdom, Muhammad Hussein Al Yassin, the immortal Hussein, Husseini poetry, rhetorical stud.*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:ـ

يُعدّ محمد حسين آل ياسين من أبرز الشعراء المعاصرين الذين عبّروا بصدق وبلاغة عن القضايا الكبرى في الوجدان الشيعي، وفي طليعتها قضية الإمام الحسين عليه السلام. إنّ شعره لا يُقرأ فقط بوصفه أدبًا رثائيًّا أو وجدانيًّا، بل كوثيقة فكرية وروحية تعبّر عن رؤية عقائدية عميقة لفكرة الشهادة، بوصفها خلاصًا وتحرّرًا وخلودًا، تتبوّأ قضية الشهادة مكانة مركزية في الخطاب الأدبي الإسلامي، ولا سيما في أدب الثورة الحسينية. فالشهادة في هذا السياق ليست موتًا عاديًا، بل فعلًا واعيًا يقترن بالفداء والكرامة والنصر المعنوي، وهي بهذا المعنى مظهر من مظاهر التحقق الإنساني الكامل، وقد وقع اختيارنا على قصيدة "الحسين الخالد" للشاعر آل ياسين، لكونها نموذجًا متكاملًا يُجسّد فلسفة الشهادة الحسينية بأسلوب بلاغيّ راقٍ، إذ جمعت بين التصوير الفني والرمز الديني، وبين الإيقاع العاطفي والطرح العقائدي.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل هذه القصيدة تحليلًا بلاغيًا، للكشف عن الآليات الفنية التي استخدمها الشاعر في إبراز قيمة الشهادة، والتركيز على أدواته في التشكيل اللغوي والمعنوي، من خلال رصد الصور البيانية، والموسيقى الشعرية، والأساليب البلاغية كالطباق والجناس والكناية وغيرها، وسيعتمد البحث منهجًا تحليليًا بلاغيًا، يستند إلى تتبّع البُنى الأسلوبية في القصيدة، وقراءتها ضمن سياقها الديني والثقافي والتاريخي

الدراسات السابقة:

- **مجهول. (٢٠٢١). تجليات الشهيد والشهادة في شعر الشاعر العراقي محمد حسين آل ياسين. حوليات جامعة قالمة، ١٥(١)، ١-١٧.**

من الدراسات المهمّة التي تناولت موضوع الشهادة في شعر الشاعر محمد حسين آل ياسين، دراسة بعنوان "تجليات الشهيد والشهادة في شعر الشاعر العراقي محمد

حسين آل ياسين"، والمنشورة في حوليات جامعة قالمة بالجزائر، في المجلد ١٥، العدد ١، بتاريخ ٣٠ يونيو ٢٠٢١. ركزت هذه الدراسة على البعد الموضوعي والفكري لمفهوم الشهادة في شعر آل ياسين، وسلطت الضوء على كيفيات استحضار الشاعر لشخصية الشهيد من خلال البعد الرمزي والتاريخي المستمد من واقعة كربلاء، حيث تم توظيف شخصية الشهيد بوصفها رمزًا للمقاومة والفداء، بعيدًا عن منطق الحزن التقليدي، مما يعكس بُعدًا تحريضيًا وتحفيزيًا في الخطاب الشعري

أما الدراسة الحالية الموسومة بـ "قيمة الشهادة في قصيدة (الحسين الخالد) للشاعر محمد حسين آل ياسين: دراسة بلاغية"، فإنها تختلف عن سابقتها من حيث المنهج والمجال والتركيز. إذ تنطلق هذه الدراسة من منظور بلاغي، يركّز على تحليل النص الشعري من حيث الصور البيانية والأساليب البلاغية، مستقصية الجماليات التعبيرية التي تَمثّلت من خلالها قيمة الشهادة في بناء القصيدة. كما أن هذه الدراسة تركز على نص شعري واحد هو قصيدة (الحسين الخالد)، باعتباره نموذجًا متكاملًا لفهم خطاب الشهادة من منظور جمالي وفني، في حين اعتمدت الدراسة السابقة على قراءة عامة لعدة نصوص دون تعمق بلاغي، وبمنهج يغلب عليه الطابع الموضوعي والتأريخي، وهكذا، تتكامل الدراستان في مقاربتين مختلفتين: إحداهما تدرس البعد الرمزي والرسالي للشهادة، والأخرى تغوص في بلاغة النص واستراتيجياته الفنية لتصوير تلك القيمة.

- **عناد، ع. ح. ي. (٢٠٠٨). مراثي الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي للحقبة (١٩٠٠ – ١٩٥٠): دراسة في الموضوع والفن (رسالة ماجستير، جامعة كربلاء، كلية التربية، قسم اللغة العربية)**

تناول علي حسين يوسف عناد (٢٠٠٨) في رسالته الموسومة "مراثي الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي للحقبة (١٩٠٠ – ١٩٥٠)" موضوع رثاء الإمام الحسين عليه السلام من خلال محورين رئيسين: الموضوعات الحسينية التي تناولها الشعراء، والأساليب الفنية التي اتبعوها في التعبير عنها. وتأتي أهمية هذه الدراسة في تركيزها

على التحولات الأسلوبية والموضوعية التي شهدها شعر الرثاء الحسيني في النصف الأول من القرن العشرين، مما يوفر خلفية تاريخية وفنية تمهّد لفهم الامتداد الشعري في العقود اللاحقة، والتي يسعى هذا البحث إلى استكمال معالمها.

- **التميمي، ي. ر. م. (٢٠١٥). رثاء الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث ١٩٤٥ - ٢٠١٠م: دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم اللغة العربية)**

السلام) دراسة ياسمين رحيم ماهود التميمي (٢٠١٥)، التي عنيت بتحليل الشعر العراقي الحديث في الفترة بين ١٩٤٥ و٢٠١٠، مركّزةً على السمات الأسلوبية المميزة لهذا اللون من الشعر. وقد توصلت إلى أن رثاء الإمام الحسين قد تطور من حيث البنية اللغوية والصور البلاغية، وارتبط ارتباطًا وثيقًا بالواقع السياسي والاجتماعي للعراق، مما أكسبه طابعًا حداثيًا في التعبير، دون أن يفقد جوهره الشعائري والعاطفي. وتمثلت الدراسة في تحليل نصوص شعرية مختارة، كاشفة عن تجليات الحزن، والتكرار، والانزياحات الأسلوبية التي تعمق الأثر الوجداني للنص الحسيني.

المبحث الأول

مفهوم الشهادة

مفهوم الشهادة في الفكر الإسلامي:

الشهادة في المنظور الإسلامي ليست حدثًا عابراً يُختزل في سقوط جسد، بل هي ذروة الوعي الإيماني، وفعل يربط بين الفناء الواعي والخلود الرسالي. إنّها اختيار حرّ للموت حين يكون الموت ضرورة لرفض الظلم، وتكريسًا لقيم الحق، وانتصاراً للضمير الإنساني[1].

في النص القرآني، تُعرض الشهادة بوصفها مرتبة سامقة لا يرقى إليها إلا من

(١) ينظر: السبزواري، لطف الله، نظرة في الشهادة والشهيد في الاسلام، ص١٧.

تجرّد من حبّ الدنيا، واتّشح بروح الإيمان الصادق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] (آل عمران: ١٦٩).

وهذه الحياة التي يُرزقها الشهيد لا تُقاس بمدى زمني أو مكاني، بل هي حالة من المجاورة الإلهية، ودليل على تجاوز الإنسان لذاته واتّصاله بالمطلق. ومن هنا، كان الشهيد في الإسلام رمزًا للتحرر من الخوف، وتجسيدًا للعدل، ومبعثًا لتحوّلٍ حضاري[2].

في الفكر الشيعي، تتخذ الشهادة بُعدًا أعمق، إذ تتجسد في كربلاء أبهى صورها. فالإمام الحسين عليه السلام حين خرج، كان يعلم أن المواجهة غير متكافئة، لكنه مضى ليجعل من دمه مشروعًا أبديًّا للكرامة والرفض، لا مجرّد واقعة تاريخية ومن هنا، تحوّلت الشهادة الحسينية إلى نموذج أنطولوجي وأخلاقي وفني، يُعاد تمثّله عبر الأجيال، ويُستثمر في الأدب والفن والخطاب الديني، ولذلك، فإنّ الشهادة ليست فقط فعلًا مقاومًا، بل لغة رمزية متجددة، تتسرب في وجدان الأمة، وتُستعاد في كل لحظة تهديد للحق، وتُعيد صياغة العلاقة بين الإنسان والعدالة، بين الدم والنصر[3].

الشهادة في الأدب العربي:

في المدونة الشعرية العربية، لم تكن فكرة الموت في معترك القتال طارئة أو مستهجنة، بل ارتبطت منذ الجاهلية بمفهوم الفخر والبطولة؛ فالمقاتل كان يرى في موته تمجيدًا لذاته، وامتدادًا لذكره في ذاكرة القبيلة. غير أن هذا الموت، رغم ما حمله من دلالات رمزية، ظلّ محصورًا في الإطار القبلي والشخصي، إلى أن جاء الإسلام ليعيد صياغة هذا الموت في صورة أرقى: الشهادة في سبيل الله، والتي تتجاوز غاية المجد الدنيوي لتتحول إلى مشروع إلهي أخلاقي وأبدي[4].

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) الطبطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ص٤/ ٩٣.

(٣) شريعتي، علي(٢٠٠٠).الشهيد، ص٥٢.

(٤) ينظر: السبزواري، لطف الله .ص١٩.

لقد أعاد الإسلام تشكيل التصوّر العربي عن البطولة، فجعل الشهادة مرآة للصدق العقدي والولاء للحق، لا مجرد استعراض للفروسية أو السطوة. ومع تعمّق هذه الفكرة، دخلت الشهادة حيز الشعر العربي لا كحدث بلاغي فقط، بل كمفهوم رمزي مشبع بالدلالة الروحية والسياسية في آنٍ معًا، خصوصًا في شعر القرون الإسلامية الأولى، حيث تشكّل الوعي بالمظلومية، وبرزت ملحمة كربلاء بوصفها اللحظة التي تجسّد فيها مفهوم الشهادة بأكمل وجوهه، تجلّى ذلك في شعر دعبل الخزاعي، الذي لا يرى في استشهاد الحسين عليه السلام نهاية لحياة، بل بدءًا لتحوّل كوني يقول:

أفاطمُ لو خِلتِ الحسينَ مُجدّلاً وقد ماتَ عطشاناً بشطِّ فراتِ[1]

في هذا النص، تُعاد كتابة الألم لتصبح الشهادة فعلًا جماليًا وتاريخيًا، لا مجرد مأساة. لقد غدت القصيدة منبرًا للرفض، وصوتًا للمُستضعف، ووسيلة لفضح الطغيان، وهذا ما شكّل النواة الأولى لما بات يُعرف لاحقًا بالأدب العاشورائي، وهو نوع أدبي خاص ينتمي إلى شعر الاحتجاج ويقوم على تمجيد القيم العلوية من خلال استحضار الشهادة[2].

مع مرور الزمن، تراكمت القصائد التي تعاملت مع الشهادة لا بوصفها ذكرى، بل بوصفها منهجًا في الحياة، كما نجد في شعر المتصوفة، ثم في القصيدة الحديثة التي حمّلت الشهادة دلالات وجودية وأخلاقية ورمزية. وقد أشار المفكر حسين مروة إلى أن الشهادة الحسينية نقلت مفهوم الثورة من بعدها القبلي إلى وعي طبقي وشعبي واسع[3].

حتى الشعراء المعاصرون الذين لا ينتمون بالضرورة إلى الاتجاه الديني الصارم،

(١) دعبل الخزاعي، محمد بن علي، ديوان دعبل الخزاعي، ص ٧٨.
(٢) جعفر مرتضى . أدب الطف في الشعر العربي، ص ٥٤.
(٣) مروة حسين، النزعات المادية في الفلسفة الإسلامية، ص٢/ ٣١٣.

وجدوا في الشهادة مادة رمزية غنية. فقد اعتبر أدونيس الحسين عليه السلام "أول شاعر في التاريخ العربي كتب نصه بجسده ودمه، وليس بحبر الكلمات"[1] وبهذا المعنى، تحولت الشهادة من صورة لغوية إلى جسد لغويّ.

لقد غدت الشهادة في الأدب العربي الحديث والمعاصر، وخاصة في الشعر المرتبط بثقافة المقاومة والوعي الحسيني، حقلًا بلاغيًا خصبًا، تجتمع فيه الصور البيانية مع الرموز التاريخية، لتنتج خطابًا فنيًا يتجاوز التوصيف إلى التأثير والبناء القيمي، وهذا ما يتجلى بوضوح في قصيدة "الحسين الخالد" التي سنتناولها بالتحليل

لمحة عن بلاغة الشعر العربي (التصوير، البيان، البديع)

الشعر العربي، منذ نشأته، اتكأ على بنية بلاغية عميقة، جعلت منه وسيلةً مزدوجة للتأثير والإيحاء. فهو لا يكتفي بتوصيل المعنى، بل يُلبسه أثوابًا من الصور والمحسّنات، ليصنع دهشة التلقي وجماليات الإيحاء. وهكذا، تكوّنت البلاغة الشعرية العربية من ثلاثة أعمدة رئيسة: علم البيان، وعلم البديع، وعلم المعاني. وكل واحد من هذه العلوم يشكّل حجر أساس في قدرة الشعر على تشكيل الوعي الجمالي والفكري.[2]

التصوير البياني: تشكيل الرؤية بالخيال

الصورة الشعرية هي الوعاء الفني الذي يُسكب فيه المعنى، وهي العمود الفقري لبلاغة الشعر. فحين يقوم الشاعر بوصف لحظة استشهاد الحسين عليه السلام فهو لا يقدّم مشهدًا داميًا فقط، بل يبتكر صورة تتجاوز الواقع: دمٌ يُراق في الحرب لكنه يُورق ربيعًا. هذه الصورة المركّبة تمزج بين الاستعارة والمجاز، وتنتج إحساسًا بالبعث والخصب في قلب المأساة، ما يربط دم الشهيد بالحياة لا بالموت[3].

(١) أدونيس، علي أحمد سعيد، الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، ص ٢٢١.
(٢) ينظر: القزويني، عبد الرحمن بن أبي بكر، الايضاح في علم البلاغة، ج١، ص٥-٧.
(٣) الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص ١١٣.

في هذا السياق، يُعدّ التشبيه والاستعارة والكناية من أبرز أدوات التصوير. فالاستعارة تصنع إزاحة دلالية تُخرِج المعنى من موضعه المباشر، لتضفي عليه أفقًا رمزيًا، كما في قوله:

كلما أطبق الكرى منه جفناً أرعبَ الجفنَ إصبعٌ مقطوع[1]

الصورة هنا لا تكتفي بوصف الإصبع، بل تجعله كائنًا يحاصر النوم، ويوقظ الذاكرة المذعورة، وهذا نوع من المجاز المرسل المصحوب بالتجسيم، حيث تتحول أجزاء الجسد إلى رموز دلالية تنبض بالحياة والرعب في آن[2].

البديع: زخرفة المعنى وتكثيف الشعور

علم البديع يُعنى بالمحسّنات اللفظية والمعنوية، ويُسهم في إضفاء الموسيقى الداخلية والتكثيف الشعوري للنص. من أبرز أدواته: الجناس، الطباق، المقابلة، وكلها واضحة في القصيدة، مثل قوله:

وبأن الشاري بقتلكَ دُنيا أن هذا القتيل كان يبيعُ[3]

في هذا البيت، تتقابل صورتا "الشراء" و"البيع" في مفارقة درامية عميقة، تشي بأن القاتل يظن أنه اشترى الدنيا بقتل الحسين، لكنه في الحقيقة قتل من باع دنياه لله، وهنا يظهر الجناس الإبداعي والتضاد الفلسفي معًا[4].

البيان والتراكيب: هندسة المعنى

علم البيان لا يتعلّق فقط بالصور، بل بطريقة صياغة العبارة وتركيبها، وهذا يظهر في ترتيب الجمل واستخدام الأساليب الخبرية والإنشائية[5]. ففي قول الشاعر:

(١) ال ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٦٢.
(٢) حجازي صلاح ، بلاغة الصورة في الشعر العربي، ص١٤٢.
(٣) ال ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٦٠.
(٤) القزويني، عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، ص١٧٦.
(٥) العمري، عبد الله ، تحليل الخطاب الشعري: بلاغة الصورة والتشكيل، ص ٩٧.

هـــل درى ســـائل نيابـــة ربٍّ وبكفيـــه ذِلّـــة وخُضـــوعُ[1]

نجد أسلوب الاستفهام البلاغي الذي لا ينتظر جوابًا، بل يُحدث صدمة وجدانية، ويشكّك في مشروعية السلطة التي قتلت الحسين عليه السلام، في مقابل سموه المعنوي[2].

إن بلاغة الشعر الحسيني - ولا سيما في قصيدة "الحسين الخالد" - ليست مجرد حِلية أسلوبية، بل بنية فكرية تعبيرية تشتغل على مستوى الصورة، والإيقاع، والدلالة، لخلق نص يمتلك كثافة رمزية وروحية عالية.

المبحث الثاني

محمد حسين آل ياسين بين السيرة الشعرية وسياق القصيدة

يمثّل الشاعر محمد حسين آل ياسين أحد أبرز الوجوه الأدبية في العراق المعاصر، إذ ينتمي إلى جيلٍ انشغل بإعادة تشكيل الوجدان العربي والإسلامي من خلال شعر يمتزج فيه الوعي السياسي بالرؤية الروحية. وُلد آل ياسين في مدينة النجف الأشرف عام ١٩٤٩، وتربّى في بيئة حوزوية وثقافية، جمع فيها بين العمق الديني والانفتاح الأدبي، مما أهّله لأن يُنتج شعرًا ذا بنية فكرية ورمزية عالية، خصوصًا في الحقول التي تمسّ التاريخ الرسالي وشخصياته المفصلية كالأنبياء والأئمة[3].

قصيدة "الحسين الخالد" تنتمي إلى هذه المساحة؛ فقد كُتبت في ظل تحولات ثقافية وسياسية عاصفة في العراق والمنطقة، ما جعل الرمز الحسيني ضرورة فنية وأخلاقية للشاعر، فهو لا يتعامل مع الحسين عليه السلام كمجرد بطل تاريخي، بل كمفهوم كونيّ يتجدد في ضمير الأمة ويواجه أنماط الظلم المتكررة من الناحية البنائية، تتوزع القصيدة على أكثر من خمسين بيتًا، وتنتظم في وحدة وزنية متماسكة (بحر الكامل)،

(١) ال ياسين، محمد حسين، ال ياسين، ج١، ص٢٥٩.

(٢) ينظر: فاخوري، حنا، البلاغة العربية تطورها وخصائصها، ص٩.

(٣) الكرباسي، محمد صادق، معجم الشعراء التحسينيين: ج١٣، ص ٦٧.

ما يخلق إيقاعًا شعوريًا منسجمًا مع الامتداد الزمني لقضية كربلاء. وتقوم بنيتها العامة على نمط التنقل بين الزمنين الماضي والحاضر، ليجعل من الحسين حضوراً متجاوزًا للزمان، كما في قوله[1]:

فـــإذا أنـــتَ ظـــاعنٌ ومقـــيمٌ كـــلُّ ذكـــرٍ للـــراحلينِ رجـــوعُ[2]

هذه المفارقة الزمنية هي حيلة بلاغية مركبة، تجعل من الشهادة حدثًا يتجاوز لحظة استشهادها إلى فاعلية دائمة في التاريخ والضمير[3].

القصيدة تشتغل أيضًا على ثنائية الطهر والدم، النور والظلام، الصمت والصراخ، وهي ثنائيات تتكرّر في شعر آل ياسين، لكنها في "الحسين الخالد" تنحو منحى وجوديًا، حيث تصبح الشهادة لغة لا تُنطق، بل تُسفك وتُزهر، كما يقول:

ومُســـيلاً علـــى الرمـــاحِ دمـــاه مورقًـــا في ســـنانهنَّ ربيـــعُ[4]

هذا البيت وحده يلخّص الرؤية الجمالية للشاعر تجاه الشهادة، فهي ليست فعل فناء، بل بذرة خصب تاريخية وأخلاقية، يتنامى من خلالها الوعي، ويُهزم بها الطغيان.

كما أنّ تواتر ألفاظ مثل: (الخضوع - الذل - الموت - النصر - البيع - الدم - الركوع) داخل القصيدة، يشير إلى شبكة مفردات تؤسس للحقل الدلالي للشهادة، وتُبرز البعد القيمي والسياسي لفعل الاستشهاد[5].

إنّ قصيدة "الحسين الخالد" ليست فقط مرثية ولا تأملًا وجدانيًا، بل هي قصيدة عقيدة ورسالة، تُعلي من بلاغة الفداء، وتقدّم الحسين كتمثيل فنيّ للخلاص والرفض معًا، ما يجعلها أرضًا خصبة للتحليل البلاغي المتعدد الأبعاد.

(١) آل ياسين ، محمد حسين، ديوان آل ياسين، ج١، ص ٢٥٩.
(٢) آل ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص ٢٥٩.
(٣) ينظر: البياتي كامل، البلاغة والرمز في الشعر الحسيني المعاصر، ص١٢٢.
(٤) آل ياسين، محمد حسين، ديوان آل ياسين، ج١، ص٢٦٠.
(٥) طاهر، كريم، بلاغة الحقول الدلالية في الشعر العربي الحديث، ص١٩١.

المبحث الثالث

الصور البيانية ودلالاتها في قصيدة "الحسين الخالد"

تمثل الصور البيانية في هذه القصيدة البُنية الجمالية التي تنتقل بها فكرة الشهادة من المجال التاريخي إلى الرمز الكوني. استخدم الشاعر مختلف الأشكال البيانية كالاستعارة والتشبيه والكناية، لكن لم تكن صوراً تزينية بقدر ما كانت أدوات تعبير عن عقيدة الشهادة وفلسفتها الوجودية.

الاستعارة:

١. الاستعارة المكنية كما في قول الشاعر:

فـــإذا أظلمـــتْ وغـــارتْ نجـــومٌ جـاء بالصـبح مـن سـناكَ هزيـعُ[١]

في هذا البيت، نلاحظ أن الشاعر قد استخدم استعارة مكنية؛ حيث شبّه الحسين بالصبح، فحذف المشبّه به (الصبح) وذكر لازمة من لوازمه "الهزيع" (وهو آخر الليل) على سبيل الاستعارة المكنية. فالحسين هنا هو الضوء الذي يبدد الظلام، مما يوحي بدوره في تغيير الواقع الظالم إلى نهضة نورية[٢].

ومثلها أيضًا في قوله:

ومُســـيلاً علـــى الرمـــاحِ دمِـــاه مورقًـــا في ســـنانهنَّ ربيـــعُ[٣]

هنا نجد استعارة مكنية حيث شبّه الرماح بالأغصان أو الحقول التي تنبت الربيع، فحذف المشبّه به (الأغصان)، وذكر لازمة من لوازمه (مورقًا/سنابل)، فصارت الرماح هي التربة التي يُزهر فيها دم الشهيد. وهذا تصوير مركّب يقلب مفهوم العنف إلى خصوبة[٤].

(١) ال ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٥٩.

(٢) الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص١١٧.

(٣) ال ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١،ص٢٦٠.

(٤) بدوي شوقي، بلاغة الرمز في الشعر العربي المعاصر، ص ٩١.

٢. الاستعارة التصريحية في قوله:

لحظـــةُ المـــوت أنجبتـــكَ ودرّتْ بالـــدم الحـــرّ للوليـــد الضـــلوعُ[١]

هنا نرى استعارة تصريحية؛ حيث شبّه "لحظة الموت" بـ"الأم"، فصرّح بالمشبّه به "أنجبتك"، وحذف المشبَّه، فأصبحت لحظة الموت مولداً جديداً للشهيد، وهي مفارقة بلاغية عظيمة تُحوّل الموت إلى لحظة ولادة[٢].

التشبيه:

الشاعر يستخدم التشبيه ليبرز أبعاد التضاد بين القيم الروحية والدنيوية، ومنها قوله:

كلّمـــا غـــابَ واعدَتـــه الليـــالي مثلمـــا واعـــدَتْ ســـحاباً ربـــوعُ[٣]

هذا تشبيه مرسل مفصّل، أركانه:

- المشبَّه: الحسين إذا غاب.
- المشبّه به: السحاب.
- وجه الشبه: العودة المنتظرة والارتواء.
- أداة التشبيه: "مثلما".

يُظهر هذا التشبيه كيف أن حضور الحسين يشبه سحاباً ينتظره الظمأى، يُنبئ بالخِصب بعد الجدب، والرجاء بعد الألم[٤].

وفي قوله:

(١) آل ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٥٩.
(٢) البياتي كامل، البلاغة والرمز في الشعر الحسيني المعاصر، ص ١٣٣.
(٣) آل ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٥٩.
(٤) عبد اللطيف زهير، التشبيه في الشعر العربي: دراسة تطبيقية، ص ١٦٦.

فـــإذا انـــت ظـــاعنٌ ومقـــيمٌ كـــلُّ ذكـــرٍ للـــراحلينِ رجـــوعُ[1]

هذا تشبيه بليغ، حيث حُذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، واقتصر على ركني المشبَّه والمشبّه به. وكأن كل ذكر للحسين، وهو الراحل، عودةٌ دائمةٌ له في وجدان الأمة. إنه لا يموت، بل يتكرّر حضوره في كل استدعاء تاريخي أو وجداني.

الكناية:

في بيتٍ شديد التضمين:

وبـــأنَّ الســـهام تُـــردي رضـــيعاً ردُهـــا للرجـــالِ نحـــرٌ رضـــيعُ[2]

هذه كناية عن شجاعة الرضيع وبلاغة الفداء. فـ"نحر رضيع" لا يرد السهام حرفيًا، بل يُمثّل قيمة الفداء التي تصغر أمامها السيوف والنبال. هذه الكناية تستبطن نقضًا خفيًا لقيم القوة الجاهلية، أمام عظمة البراءة والشهادة[3].

المبحث الرابع

الإيقاع والموسيقى الشعرية في قصيدة "الحسين الخالد"

الإيقاع في الشعر ليس مجرد تناسق بين الكلمات والأصوات، بل هو أداة جوهرية تُسهم في ترسيخ المعنى وإثارة المشاعر. في قصيدة محمد حسين آل ياسين، يتجلى الإيقاع كمحور مركزي يعزز قيمة الشهادة، ويجعلها تتردد في الأذهان كأنها نبض حياة مستمرة.

الوزن والقافية:

القصيدة تنتمي إلى بحر الطويل، وهو من البحور الكلاسيكية التي تتيح للشاعر فضاء واسعًا للتعبير عن مشاعر عميقة وأفكار شاملة. تمتع القصيدة:

(١) ال ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٥٩.

(٢) ال ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٦٠.

(٣) طاهر، كريم، بلاغة الحقول الدلالية في الشعر العربي الحديث، ص ٢٠٣.

• تكرار الأوزان الثقيلة والمتناسقة التي تعكس جدية الموضوع ومقام الشهادة بعمقه.

• تقارب القوافي في نهايات الأبيات، والتي تخلق حلقة صوتية مستمرة تشبه دورة الحياة والموت والشهادة المستمرة[١].

• القافية ثابتة، وغالبًا ما تكون من أحرف ساكنة، مما يضفي على النص طابعاً رسميًا ووقوراً، يتناسب مع جدية موضوع الحسين عليه السلام.

التكرار والتوازي:

يلعب التكرار دوراً محوريًا في تثبيت الفكرة. مثلاً، تتكرر كلمات مثل "لم يزل" و"كلما" لتؤكد استمرارية حضور الحسين وشهادته عبر الزمن. هذا التكرار ليس سطحيًا بل له وظيفة بلاغية:

• تعزيز معنى الديمومة والخلود[٢]

• إيقاعية تَكرارية تُشبه الترديد الطقوسي الذي يحيي الذكرى ويعمّق التأمل.

التوازي في تراكيب الجمل مثل:

كلما أطبق الكرى منه جفناً أرعب الجفن إصبعٌ مقطوعُ[٣]

يخلق إيقاعًا متناغمًا يدعم الصورة الشعرية ويُبرِز حالة القلق والرهبة التي تثيرها الشهادة في النفوس.

الموسيقى الداخلية:

تنتظم في القصيدة استخدام الجناس والطباق، حيث نجد كلمات متقابلة من حيث المعنى والصوت مثل:

(١) بدوي شوقي، أوزان الشعر العربي وتأثيرها على المعنى، ص١٢٢.
(٢) حنون عادل التكرار في الشعر العربي وظيفة وأثر، ص ٧٥.
(٣)ال ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٦١.

ذلّةً وخضوعُ

و

عزٌّ نابُها

هذه الموسيقى الصوتية الداخلية تُعطي النص توازنًا يحرك المشاعر ويوجد ديناميكية بين التوتر والانفراج، تعكس تناقضات الشهادة بين الألم والعزة، بين الفناء والخلود(١).

الأساليب البلاغية الأخرى في قصيدة "الحسين الخالد"

تُبرز هذه القصيدة براعة الشاعر في توظيف الأساليب البلاغية المتنوعة لتعزيز المعاني ودعم رسالة الشهادة من خلال زخرفة لغوية دقيقة ومتقنة، تعكس عمق الشعور وتضفي على النص بعداً جمالياً ورمزياً مميزاً.

الطباق:

يعد الطباق من أبرز أدوات الإيضاح والتأكيد في النص الشعري، فهو يجمع بين الكلمتين المتضادتين في الجملة، ليبرز التناقضات الجوهرية التي تتسع لها موضوعات الشهادة والفداء.

مثال ذلك قوله:

لا يعيب الباكين دمعةُ حزنٍ إنّما العيبُ دمعةٌ وخُنوعُ(٢)

في هذا البيت، استخدم الشاعر الطباق بين "حزن" و"خنوع" ليُبرز الفرق الجوهري بين البكاء تعبيراً عن الألم المشروع وبين البكاء الاستسلامي الذي يُعد عيباً. هذا الطباق يثير في ذهن القارئ تأملًا حول معاني الشجاعة والضعف، ويُبرز

(١) عبد اللطيف، زهير، الطباق والجناس في الشعر العربي دراسة بلاغية، ص ٨٩.

(٢) ال ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٥٩.

عظمة الفداء بشجاعة لا تستكين[1].

المقابلة:

تُستخدم المقابلة هنا لتسليط الضوء على ثنائيات متقابلة تتفاعل في النص لتعميق الأثر النفسي والدلالي.

في قوله:

فـرق أن يسـتظلّ في الجفـن فجـرٌ واثـبُ المرتجـن وليـلٌ قنـوعُ[2]

يتقابل في هذا البيت "الفجر" و"الليل"، وهما رمزان للنهار والظلام، للنور والظلمة. توظيف هذه المقابلة يدل على التناقض بين حالة الأمل والانتظار (الفجر) وبين حالة الركود والاستسلام (الليل). هذه المقابلة تضفي حركة ديناميكية على النص وتشير إلى الصراع الداخلي بين الحياة والموت، بين الشهادة والاستسلام[3].

الجناس:

أجاد الشاعر توظيف الجناس، وهو التشابه الصوتي بين كلمتين تختلفان في المعنى، ما يُثري الموسيقى الداخلية للقصيدة ويخلق إحساساً بالانسجام الصوتي.

مثال ذلك:

فـدماه مـدى الزمـان حيـاة وظمـاه علـى المـدى ينبـوعُ[4]

في هذا البيت، يأتي الجناس بين "مدى" و"مداه"، مما يخلق تكراراً صوتياً يُقوي من تماسك البيت ويُبرز فكرة استمرارية الحياة التي تحملها دماء الشهيد وعطشه الدائم نحو العطاء[5].

(١) الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص١٤٣.

(٢) ال ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٥٩.

(٣) عبد اللطيف، زهير، التشبيه في الشعر العربي : دراسة تطبيقية ص ١٧٨.

(٤) ال ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٦٢.

(٥) طاهر كريم، بلاغة الحقول الدلالية في الشعر العربي الحديث، ص ٢١٢.

قيمة الشهادة كما تظهر في قصيدة "الحسين الخالد"

تُجسّد قصيدة "الحسين الخالد" روح الشهادة وأبعادها الروحية والاجتماعية، حيث ينقل الشاعر محمد حسين آل ياسين رؤية بلاغية متكاملة تعبر عن:

- الفداء
- الخلود
- التضحية

الفداء والتضحية:

تظهر قيمة الفداء جلية في صور متعددة، حين يصف الشاعر الحسين عليه السلام كـ"غصن زيتونة العطاء" الذي طابت أصوله وفروعه، في إشارة إلى النقاء والتضحية اللامحدودة[1]. هنا، استعارة مكنية تتجلى حيث حُذف المشبه به (الحسين) وبقي المشبه (غصن الزيتون) ليدل على النقاء والعطاء.

كذلك يبرز الشاعر التضحية حين يصف الدماء التي سُفكت بـ"مُسيلاً على الرماح دِماه"، كناية عن التضحية العظيمة والدماء التي أصبحت كالربيع المورق رغم كل ما واجهته[2].

الخلود والخلود الرمزي

الخلود في القصيدة لا يتجسد فقط في الحياة بعد الموت، بل في بقاء الذكرى وتأثير الشهادة عبر الزمن، كما في قوله:

لم يـــزل منـــك حـــادث مســـتعاد وحـــديث علـــى فـــم مســـموع[3]

إشارة إلى أن الشهادة ليست نهاية بل بداية لقصص لا تنتهي تُروى عبر

(١) الجابري، محمد، التضحية في الشعر العربي، ص ٨٩.
(٢) الخياط، سامي، صور الدماء في الأدب العربي : دراسة أدبية، ص ١١٧.
(٣) ال ياسين، محمد حسين، ديوان ال ياسين، ج١، ص٢٦٠.

الأجيال، وهذا يبرز قيمة الخلود عبر الذكرى الشعورية[1].

الرؤية البلاغية للشهادة:

الشاعر يستخدم سلسلة من الصور البلاغية التي تعكس تفاعل عناصر القصيدة مع مفهوم الشهادة:

- التشبيه البليغ في تصوير الحسين كالنور الدائم الذي لا يغيب.
- الاستعارة المكنية التي تبرز تضحية الحسين دون الحاجة للذكر المباشر.
- الكناية عن الدماء والشهادة التي تخفي تحتها معانٍ عظيمة عن الفداء.

تتجسد الشهادة في القصيدة كـ"نصر مبطئ لا يراه نصر سريع"، وهو تصوير بلاغي يجعل من الشهادة قيمة كبرى، رغم تأخر نتائجها الظاهرة، ويبرز الشاعر بها عظمة الصبر والمثابرة في سبيل الحق[2].

الخاتمة

في هذه الدراسة البلاغية لقصيدة "الحسين الخالد" للشاعر محمد حسين آل ياسين، تأكد أن الشاعر لم يكتفِ بسرد الحكاية أو وصف الحدث، بل أسس معمارًا شعريًا متكاملًا يعكس قيمة الشهادة ببلاغة راقية وأسلوب شعري متقن.

لقد تجلّت عبقرية الشاعر في توظيفه المتقن للصور البيانية من استعارات مكنية وتشبيهات بليغة، لتبرز أبعاد الفداء والتضحية، كما أبدع في رسم إيقاع موسيقي متزن، يحاكي دقات قلب الشهادة النابضة عبر الزمن.

الأساليب البلاغية كالطباق والمقابلة والجناس لم تكن زخرفة لغوية فحسب، بل أدوات تعبيرية جعلت من الشهادة رمزًا حيًا، ينبض في القلوب ويستمر في التأثير عبر الأجيال.

(١) عبد المجيد، أحمد، الخلود في الشعر العربي بين الحرف والمعنى، ص ٥٦.

(٢) يونس، ناصر، الشهادة في الشعر العربي: رؤى بلاغية وفكرية، ص١٣٤.

وفي النهاية، يتضح أن قصيدة "الحسين الخالد" ليست مجرد قصيدة عن الفقد والشهادة، بل رسالة خالدة تجسد التحدي والعزة والخلود، بمزيج من الحزن والفخر، وعين شاعر يرى في الشهادة حياة لا تنتهي.

هذه الدراسة تؤكد مدى نجاح محمد حسين آل ياسين في استثمار البلاغة الشعرية لتعميق مفاهيم الشهادة، فكانت قصيدته أنموذجًا يحتذى به في الشعر العربي الحديث الذي يتناول القضايا الوطنية والإنسانية الكبرى

النتائج:

١. تجلى مفهوم الشهادة في شعر محمد حسين آل ياسين كقيمة سامية ومركزية، حيث اعتُبرت رمزًا للتضحية والفداء، مما يعكس التزام الشاعر بالقيم الإنسانية والدينية العميقة المرتبطة بالشهادة.

٢. استخدم الشاعر وسائل بلاغية متنوعة لإبراز قيمة الشهادة، منها الاستعارة، والتشبيه، والكناية، مما منح النصوص بعدًا تأمليًا وعاطفيًا عميقًا، وساهم في توصيل رسالة الشهادة بقوة وإيحاء.

٣. تميزت بنية النصوص الشعرية بتناغم بين الصورة واللغة، ما أدى إلى إبراز قيمة الشهادة بشكل مؤثر، إذ جمع الشاعر بين الإيقاع والتصوير الشعري ليخلق حالة ذهنية تنقل القارئ إلى عمق التجربة الشعورية المرتبطة بالشهادة.

٤. برزت في شعر آل ياسين روح الفداء والتضحية التي تجاوزت الجانب الفردي إلى بعد اجتماعي ووطني، حيث كانت الشهادة وسيلة لتحقيق العدالة والحرية، ما يعكس وعيًا تاريخيًا واجتماعيًا لدى الشاعر.

٥. اتسمت لغة الشاعر بالبلاغة الموحية والتصوير الجمالي الذي يعزز مكانة الشهادة، مع توظيف الحكمة والرموز الدينية التي جعلت من النصوص مرجعًا أدبيًا وروحيًا في موضوع الشهادة.

التوصيات:

١. تشجيع المزيد من الدراسات البلاغية المتعمقة حول شعر محمد حسين آل ياسين لاستكشاف مزيد من الأبعاد الفنية واللغوية في نصوصه، خاصة المتعلقة بالقيم الإنسانية والدينية.

٢. إجراء بحوث مقارنة بين شعر محمد حسين آل ياسين وشعراء آخرين تناولوا موضوع الشهادة بهدف إبراز الخصوصيات الفنية والبلاغية المختلفة وكيفية معالجتها لموضوع الشهادة.

٣. تفعيل الدراسات التطبيقية التي تربط بين الشعر البلاغي والأبعاد النفسية والاجتماعية للشهادة لتطوير فهم أعمق لكيفية تأثير الشعر في تعزيز القيم المجتمعية.

٤. استخدام شعر محمد حسين آل ياسين في المناهج التعليمية لتعزيز القيم الوطنية والدينية، حيث يمثل مصدراً غنيًا بالبلاغة والرسائل الوجدانية المتعلقة بالشهادة.

٥. تطوير دراسات توثيقية تتناول حياة الشاعر وتجربته الفكرية لتكوين رؤية شاملة تشرح الخلفيات التي أثرت في بناء موضوع الشهادة في شعره.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. أدونيس، ع. أ. س. (٢٠٠٣). الثابت والمتحول: بحث في الإبداع والإتباع عند العرب (ط٥). بيروت: دار الساقي.

٢. البياتي، ك. (٢٠١٨). البلاغة والرمز في الشعر الحسيني المعاصر (ط١). بيروت: دار الرافدين.

٣. الجبري، م. (٢٠١٠). التضحية في الشعر العربي (ط١). بيروت: دار النهضة العربية.

٤. الخزاعي، د. ب. ع. (٢٠٠١). ديوان دعبل الخزاعي (تحقيق: يوسف جعفر، ط١). بيروت: مؤسسة البلاغ.

٥. الخياط، س. (٢٠١٥). صور الدماء في الأدب العربي: دراسة أدبية (ط٢). دمشق: دار الفكر العربي.

٦. الحجازي، ص. (٢٠٠٥). بلاغة الصورة في الشعر العربي (ط١). القاهرة: دار الفكر العربي.

٧. الجرجاني، ع. (١٩٩١). أسرار البلاغة (تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، ط٣). بيروت: دار المعرفة.

٨. الجرجاني، ع. (١٩٩١). أسرار البلاغة (تحقيق: محمود شاكر، ط٢). جدة: دار المدني.

٩. حنون، ع. (٢٠١٧). التكرار في الشعر العربي: وظيفة وأثر (ط١). بيروت: دار الروافد الثقافية.

١٠. دعبل الخزاعي، د. ب. ع. (٢٠٠١). ديوان دعبل الخزاعي (تحقيق: يوسف جعفر، ط١). بيروت: مؤسسة البلاغ.

١١. السبزواري، ل. (١٩٩٠). نظرة في الشهادة والشهيد في الإسلام (ط١). بيروت: دار المعارف.

١٢. شريعتي، ع. (٢٠٠٠). الشهيد (ط٢). بيروت: دار الأمير.

١٣. عبد المجيد، أ. (٢٠٠٨). الخلود في الشعر العربي بين الحرف والمعنى (ط١). القاهرة: دار الكتب العلمية.

١٤. عبد اللطيف، ز. (٢٠٠٦). التشبيه في الشعر العربي: دراسة تطبيقية (ط١). عمّان: دار كنوز المعرفة.

١٥. عبد اللطيف، ز. (٢٠٠٦). الطباق والجناس في الشعر العربي: دراسة بلاغية (ط١). عمّان: دار كنوز المعرفة.

١٦. فاخوري، ح. (١٩٩٠). البلاغة العربية: تطورها وخصائصها (ط٤). بيروت: دار الجيل.

١٧. القزويني، ع. (١٩٩٨). الإيضاح في علوم البلاغة (ط٢). بيروت: دار الكتب العلمية.

١٨. القزويني، ع. ب. أ. ب. (٢٠٠٣). (تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي). (ط٤). بيروت: دار الجيل.

١٩. الكرباسي، م. ص. (٢٠١٠). معجم الشعراء التحسينيين: الجزء الثالث عشر (ط١). لندن: المركز الحسيني للدراسات.

٢٠. مروة، ح. (١٩٨٦). النزعات المادية في الفلسفة الإسلامية (ط٣). بيروت: دار الفارابي.

٢١. مرتضى، ج. (٢٠١٥). أدب الطف في الشعر العربي (ج١). النجف الأشرف: مركز الدراسات العاشورائية.

٢٢. آل ياسين، م. ح. (١٩٨٩). ديوان آل ياسين (ج١، ط٣). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

٢٣. العمري، ع. (٢٠١١). تحليل الخطاب الشعري: بلاغة الصورة والتشكيل (ط١). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٢٤. بدوي، ش. (٢٠١٤). بلاغة الرمز في الشعر العربي المعاصر (ط١). عمّان: دار اليازوري.

٢٥. بدوي، ش. (٢٠١٤). أوزان الشعر العربي وتأثيرها على المعنى (ط٢). عمّان: دار اليازوري.

٢٦. طاهر، ك. (٢٠١٦). بلاغة الحقول الدلالية في الشعر العربي الحديث (ط١). النجف: منشورات جامعة الكوفة.

٢٧. الطبطبائي، م. ح. (١٩٨٤). الميزان في تفسير القرآن (ط٣). بيروت: مؤسسة الأعلمي.

٢٨. يونس، ن. (٢٠١٣). الشهادة في الشعر العربي: رؤى بلاغية وفكرية (ط١). اللاذقية: دار الحوار